مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه، أما بعد:

فمن المقرر أن اللغة العربية من أقدم اللغات الحية المعاصرة التى عرفها العالم، وهى إحدى اللغات التى تنتظمها مجموعة "اللغات السامية"، ومنها الحبشية والأكّدية والآرامية والعبرية والكنعانية، وقد انقرض كثير من هذه اللغات وبقى بعضها حيًّا مستعملًا حتى الآن.

وقد مرَّت لغتنا العربية -منذ نشأتها إلى اليوم - بعدة أطوار، وأثّرت فيها عوامل كثيرة، ولّما كانت العناية بلغة الأمة من أوجب المهمات الملقاة على عاتق أبنائها ؛ إذ تمثِّل اللغة هويَّة الأمة- كان من الضرورى رصد ما حلَّ بهذه اللغة من تغير فى دلالات ألفاظها وتراكيبها على مرّ العصور المتتابعة، فضلًا عما جَدَّ بها من ألفاظ ومصطلحات فى مختلف المراحل، فوضع معجم تاريخى - يرصد حياة هذه اللغة - واجب قومى أولًا، وضرورة علمية ثانيًا. فلا غنى للباحثين اللغويين وغيرهم من الوقوف الدقيق على دلالات الألفاظ اللغوية، وما طرأ عليها من تغير، وما كان يراد بها فى كل عصر وفى كل بيئة[1].

(١) انظر: خطة المعجم التاريخى، د. إحسان النص، د. شاكر الفحام، بحث مقدم فى الدورة الثانية والسبعين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص١.

والمتأمِّل للمعاجم العربية يلاحظ أنها اقتصرت على جمع المفردات وتقرير معانيها، واختلاف معانيها باختلاف مبانيها، وهو عمل جليل الفائدة ثابت الأثر منذ وضعه حتى الآن[1]. بيد أن شعراء العرب وأدباءهم وعلماءهم وفلاسفتهم، بل وطبقات المجتمع الأخرى قد حمَّلوا هذه الألفاظ معانى جديدة تعبر عن أغراضهم الحياتية والفنية والعلمية ، وعرَّبوا ألفاظًا من لغات أخرى مثل الفارسية واليونانية والهندية احتاجوا إليها عند الاتصال بحضارة الفرس والروم والهند وشعوب أخرى، وحين ترجموا علومهم اطلعوا على ثقافاتهم. وبكل أسف لم يدخل كثير من هذه المعانى أو المعرّبات معاجم اللغة أو مصنفاتها الأخرى، مثل كتب العلوم والمعاجم المتخصصة والمصطلحية من سيبويه وابن سينا والرازى إلى الجبرتى، وظلت متناثرة فيما يتناقل الأدباء والعلماء، تحفظها الأوراق فحسب. فإذا أردت الرجوع إلى تاريخ ما أحدثوه من جديد أعيتك الحيل وعُدْتَ بغير شىء محقق.

هذه اللغة- بهذه الأوصاف وبهذا التراث وعبر تاريخها الطويل وفى كل مكان وصلت إليه من المحيط إلى الخليج - لا شكَّ فى حاجتها إلى معجم تاريخى يكون ديوانًا شاملًا لمفرداتها ومعانيها ولأساليب استعمالها وتاريخ ميلاد هذه الألفاظ والأساليب ، وكيف تنقلت من مبنى إلى مبنى، ومن معنى إلى معنى حتى وصلت إلينا.

ولن يكون هذا المعجم لهذا فحسب، بل سيكون خزانة لأفكار أهلها ولمشاعرهم، ولما أنجزوه من تقدم علمى، ولما قاموا به من دور فى الحياة الإنسانية[2]. والمتأمل لحاضرنا يجد أن العربية تتعرض لهجمة شرسة من أعدائها ومن بعض أهلها على حدٍّ سواء تبغى إتيانها من قواعدها، وتتهمها بالعجز

(١) انظر: المعجم التاريخى للغة العربية بين الأمل والعمل، د. محمد حسن عبدالعزيز، بحث مقدم فى الدورة الثانية والسبعين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص ٢ ، ٣.

(٢) السابق نفسه.

والقصور عن التعبير عن حياتنا الإنسانية والفكرية، وتستبدل بها غيرها فى مؤسساتنا التعليمية والعلمية[1].

إن هذه الأيام المصيرية فى حياة الأمة العربية أكثر الأوقات مناسبة لبداية هذا المشروع العلمى الجليل، لنؤرِّخ لماضينا التليد، ونحيى فى وجداننا كل عوامل التحدى والنهوض[2].

وسأحاول فى هذه المقدمة تناول العناصر التالية باختصار، وهى:

أولًا: أسباب اختيار الموضوع.

ثانيًا: أهمية هذه الدراسة.

ثالثًا: الدراسات السابقة والرسائل العلمية ذات الصلة بالدراسة .

رابعًا: صعوبات الدراسة.

خامسًا: منهج الدراسة.

سادسًا: خطة الدراسة ومحتوياتها.

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

نفهم من التقديم السابق مجموعة من الأسباب التى أدت بالمؤلف إلى اختيار هذا الموضوع، منها ما يأتى:

١- قدم اللغة العربية وطول مراحلها التاريخية وتوقع تغيرات فى دلالة مفرداتها.

٢- محاولة الكشف عن التغيرات الدلالية فى اللغة العربية.

٣- محاولة رصد الألفاظ المستحدثة فى مسيرة اللغة العربية، وخصوصًا بعد ازدهار الحضارة فى العصر العباسى.

---

(١) على سبيل المثال كتاب : تحيا اللغة العربية ويسقط سيبويه، د. شريف الشوباشى، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٤م.

(٢) المعجم التاريخى للغة العربية بين الأمل والعمل، ص٢،٣.

obeikandi.com

٤-حاجة اللغة العربية إلى معجم تاريخى مثلها فى ذلك مثل بقية اللغات العالمية.

٥- ربط العربية بالتطورات الحضارية التى مر بها العالم وانعكست آثارها على العربية واستعمالاتها.

ثانيًا: أهمية الدراسة:

تأتى أهمية هذه الدراسة من كونها تمثل خطوة عملية على الطريق لبناء المعجم التاريخى وإعداده الذى يُعَدّ حلمًا لكل العرب والمشتغلين بالعروبة، يقول الأستاذ الدكتور كمال بشر: "ولا يخفى على أى منا أن إصدار معجم تاريخى للغة العربية كان وما زال وسيظل حلمًا لكل المشتغلين والمهتمين باللغة العربية على اختلاف جنسياتهم ومشاربهم بل وتخصصاتهم، ولن يتوقف التفكير فى هذا الحلم إلا بإصدار هذا المعجم..."[(١)].

ويؤكد هذه الفكرة أيضًا الأستاذ الدكتور محمد حسن عبد العزيز حيث يقول: "قد يقال إن إنجاز المعجم التاريخى للغة العربية يحتاج إلى مئات من العلماء واللغويين، ومئات من المحررين والمراجعين والمحوسبين، ويتطلب جهازًا إداريًّا عالى الكفاءة، ويستنفد نفقات ضخمة قد تبلغ بضعة ملايين، وقد يستغرق إنجازه عشرات من السنين. أعلم هذا كله علم اليقين، ولكن لا ينبغى أن يصرفنا ذلك عن الأمل فى إنجازه، وعن شق الطرق إليه"[(٢)].

ثالثًا: الدراسات السابقة والرسائل العلمية ذات الصلة بالدراسة:

١- أعمال مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذى عُقد فى الدورة الثانية والسبعين سنة ٢٠٠٦م، حول موضوع "المعجم التاريخى للغة العربية". وقد نُشرت هذه الأعمال بالعددين التاسع بعد المئة والعاشر بعد المئة بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

---

(١) حول المعجم التاريخى للغة العربية، د. كمال بشر، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد ١٠٩، مايو ٢٠٠٧م، ص٢٧.

(٢) المعجم التاريخى للغة العربية بين الأمل والعمل، ص ٤.

٢- كتاب "رحلة فى المعجم التاريخى" للدكتور إبراهيم السامرائى صدر عام ١٩٩٩م عن عالم الكتب بالقاهرة، تحدث فيه مؤلفه عن قضايا مختلفة عن المعجم التاريخى من خلال ربطه بالتراث.

٣- وقائع ندوة "المعجم العربى التاريخى: قضاياه ووسائل إنجازه" والتى نُشرت فى العددين الخامس والسادس من مجلة المعجمية بتونس.

٤- كتاب "المعجم التاريخى للغة العربية: وثائق ونماذج" للأستاذ الدكتور محمد حسن عبد العزيز، طُبع بمكتبة دار السلام بالقاهرة، سنة ٢٠٠٨م، تناول فيه المؤلف قصة المعجم التاريخى منذ بداية التفكير فيه، وضمّنه بعض المقالات والبحوث التى أُلقيت فى المجمع عنه، ووضع فيه بعض النماذج لثمانى كلمات كشف فيها عن طبيعة التغير الحادث فى مبانيها ومعانيها.

٥- كتاب بعنوان: "الاستشهاد فى المعجم اللغوى التاريخى" للأستاذ مصطفى محمد صلاح، طُبع بمكتبة عالم الكتب بالقاهرة، سنة ٢٠١٢م، وقد تناول فيه المؤلف صعوبات الاستشهاد فى المعجم التاريخي، والاستشهاد فى المعاجم الأجنبية، وخصائص الاستشهاد فى المعجم التاريخي، وقدّم بعض النماذج فى الفصل الأخير.

٦- رسالة ماجستير بعنوان: "المهمل والمستعمل من الألفاظ بين العصرين الجاهلى والإسلامى" للباحث أحمد عطية تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد حسن عبد العزيز، واشتملت رسالة الباحث على ثلاثة فصول؛ جاء الفصل الأول بعنوان "الجذور المهملة فى اللغة العربية"، وجاء الفصل الثانى بعنوان "عوامل وطُرُق استحداث الألفاظ"، وجاء الفصل الثالث بعنوان " أسباب هجر الألفاظ"[(١)].

(١) المهمل والمستعمل من الألفاظ بين العصرين الجاهلى والإسلامى، أحمد عطية، إشراف د. محمد حسن عبد العزيز، رسالة ماجستير مخطوطة بكلية دار العلوم، نوقشت ٢٠١٣م.

٧- رسالة دكتوراه بعنوان" مدونة معجم تاريخى للغة العربية معالجة لغوية حاسوبية" للباحث المعتز بالله السعيد، إشراف أ.د. محمد حسن عبدالعزيز، وأ.د. محسن عبدالرازق رشوان، واشتملت الدراسة على أربعة فصول؛ جاء الفصل الأول للحديث عن المدونات اللغوية وصناعة المعجمات التاريخية، وجاء الفصل الثانى للحديث عن منهج بناء مدونة معجم اللغة العربية التاريخى، من حيث الجمع والتصنيف، وعرض الباحث فى الفصل الثالث لتحليل المدونة اللغوية، وجاء الفصل الرابع لعرض منهج بناء معجم اللغة العربية التاريخى فى ضوء المدونة، وعرض الباحث فى الفصل الخامس نموذجًا معجميًّا لمعجم اللغة العربية التاريخى[١].

ولعل دراستى هذه تكون استكمالًا للدراسات السابقة ؛ فقد ركزت الدراسة على فكرة المواد (الجذور) والمداخل فى المعجم التاريخى، ووضع تصور مناسب لمنهج المعجم التاريخى فى ترتيب مواده ومداخله، وقدمت بعض النماذج العملية على ذلك.

رابعًا : صعوبات الدراسة :

تُعَدّ هذه الدراسة لبنة صغيرة فى طريق بناء المعجم التاريخى، أحاول من خلالها تلمس الخطى فى صناعة نماذج أولية للمعجم التاريخى، معتمدًا على الله سبحانه وتعالى، ثم على الخبرة البسيطة التى تحصلتها من عملى فى صناعة المعجم الكبير فى مجمع اللغة العربية منذ ٢٠٠٠/٧/١م، حتى الآن، وكذلك عملى فى معاجم المكنز الكبير، والصواب اللغوى، واللغة العربية المعاصرة، مع المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، ضمن فريق عمل ضمَّ عددًا كبيرًا من الأساتذة والمدرسين والمدرسين المساعدين والباحثين والمحررين.

---

(١) مدونة معجم تاريخى للغة العربية معالجة لغوية حاسوبية"، للباحث المعتز بالله السعيد، إشراف أ.د. محمد حسن عبدالعزيز، وأ.د. محسن عبدالرازق رشوان، رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة، نوقشت عام ٢٠١٠م.

ورغم هذه الخبرة المتواضعة فإنه قد واجهتنى صعوبات جمة فى هذه الدراسة لعل أبرزها:

١- ندرة التجارب التى عالجت اللغة العربية تاريخيًّا.

٢- ندرة المراجع التى كُتبت عن المعجم التاريخى؛ فالمتاح هو بعض البحوث أو المقالات التى كُتبت هنا أو هناك، أو أُلقيت فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذى خصص مؤتمرًا كاملًا للمعجم التاريخى، وهو المؤتمر الذى عُقد فى الدورة الثانية والسبعين ٢٠ من مارس ٢٠٠٦م.

٣- اتساع الفترة الزمنية للغة العربية منذ بدايتها حتى الآن، وقد اخترت مادة الشعر كبداية للانطلاق، باعتبار أن الشعر هو ديوان العرب، وقد أعتمد على النثر كلما أعوزتنى الحاجة إلى ذلك.

٤- صعوبة تجميع الشواهد من الموسوعات الشعرية الورقية والإلكترونية، خاصة أن كَمَّ الموروث الشعرى يُعد بعشرات الآلاف من الصفحات ، وقد استعنت بالموسوعة الشعرية الإلكترونية التى جمعت أكثر من ثلاثة ملايين بيت من الشعر، وكذلك ببرنامج المحلل الصرفى المستعان به فى معجم لغة الشعر العربى بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٥- صعوبة التفريق بين المعانى فى الأبيات التى جمعتها، خاصة المعانى المتقاربة أو المترادفة.

٦- عدم إمكان تحديد تاريخ وفاة بعض الشعراء؛ وذلك لعدم نص المصادر على ذلك.

خامسًا: منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التاريخى، حيث اخترت أربعة جذور، وتتبعت معانى المداخل فيها تاريخيًّا؛ بهدف تتبع التغير أو التطور الدلالى الذى طرأ على هذه المعانى على فترات متعاقبة. وقد اعتمدت تقسيم اللغة العربية إلى عشرة عصور. (سيرد ذكرها- بإذن الله- لاحقًا فى المبحث الأول من الفصل الثالث).

سادسًا: خطة الدراسة ومحتوياتها:

جاءت الدراسة فى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول.

أما المقدمة فقد تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، والدراسات السابقة والرسائل العلمية ذات الصلة به، وصعوبات الدراسة، ومنهجها، وأخيرًا خطتها ومحتوياتها.

أما التمهيد فقد حاولت فيه تعريف المعجم لغة واصطلاحًا، وأنواعه المختلفة بصفة عامة، وتعريف المعجم اللغوى التاريخى، وذكر ما يتصل به بصفة خاصة، وفكرته، ومحاولات تنفيذها، وحاجة العربية إلى معجم تاريخى، وأخيرًا عقد موازنة بين المعجم الكبير والمعجم التاريخى.

ثم جاء الفصل الأول تحت عنوان: "المواد والمداخل فى المعجم اللغوى التاريخى"، واشتمل على ثلاثة مباحث: الأول: تعريف المواد (الجذور) والمداخل، والثانى: إعداد قائمة أوليّة بعدد المواد (الجذور) المستعملة فى عصور اللغة العربية ، والثالث: ترتيب المواد (الجذور) والمداخل فى المعجم التاريخى .

ثم جاء الفصل الثانى بعنوان: " المعنى فى المعجم اللغوى التاريخى"، واشتمل على ثلاثة مباحث: الأول: طبيعة المعنى المعجمى، والثانى: طرق شرح المعنى المعجمى، والثالث: التغير الدلالى فى المعجم اللغوى التاريخى.

ثم جاء الفصل الثالث، وهو جوهر الدراسة، وجاء بعنوان: " المنهج والنماذج"، واشتمل على ثلاثة مباحث؛ الأول: مصادر المعجم اللغوى التاريخى، مع بيان عصور اللغة العربية"، والثانى: المنهج المقترح للمعجم اللغوى التاريخى، وقد حاولت فيه تقديم تصور مبدئى لمنهج المعجم اللغوى التاريخى، والثالث: النماذج، وقد قمت فيه بإعداد أربعة جذور، محاولًا فيها صنع نماذج عملية للمعجم التاريخى، مع ذكر الشواهد التاريخية على معانيها الحقيقية والمجازية؛ وذلك عبر عصور اللغة العربية المتعاقبة.

ثم جاءت فى النهاية الخاتمة، وفيها أهم النتائج، والتوصيات، يتبعها بعد ذلك ثبت المصادر والمراجع.

وفى النهاية أدعو الله أن أكون قد وُفِّقْت فى معالجة الموضوع المعالجة المُرضية المحققة للأهداف، فإن كان ذلك قد تحقق فمن الله ومن توفيقه وسداده، وإن كانت الأخرى فمن نفسى ومن جهدى القليل.

وحسبى أنى حاولت واجتهدت، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

* * *

مصطفى يوسف عبدالحى

الجيزة ٨ ربيع الآخر ١٤٣٥هـ
٨ فبراير ٢٠١٤م

البريد الإلكترونى: moustafa_201016@yahoo.com

الهاتف: ٠١٠٠٧٨٠٩٧٥٤
٠١١١٥٥٢٥٧٨٤

obeikandl.com